ذكرياتي مع الأب باولو في دير مارموسى الحبشي

مجموعة من الذكريات ستجمع في رواية واحدة تغطي حدث زمني يمتد من 1985 وحتى 1995 يلخص سيرة الأب باولو وترميمه لدير مارموسى الحبشي

يهدى هذا العمل له كرد جميل لنا على ما فعله تجاه بلدنا سوريا

جدول المحتويات

ذكرياتي مع الأب باولو في دير مارموسى الحبشي.....1
مقدمة.....3
الذكرى الأولى.....4
الذكرى الثانية.....7
الذكرى الثالثة.....8
الذكرى الرابعة.....9
الذكرى الخامسة.....12
الذكرى السادسة.....13
الذكرى السابعة.....15
الذكرى الثامنة.....16
الذكرى التاسعة.....18
الذكرى العاشرة.....19

مقدمة

مهما كنا مختلفين أو متفقين بالرأي من الأب باولو إلا أنه لايمكن لأحد أن يشكك في مسيحيته أو في حبه لسوريا أو في موقفه مع الإنسان السوري هو كان مع الحق وعلى طريق معلمه المسيح مشى وبحث عن الخلاص لسوريا عن طريق المسامحة والمصالحة

إن حبه لسوريا دفعه أن يذهب إلى عمق حبه دون أي خوف وإلى أن يسلم نفسه للموت دون أي تردد

تحدى داعش وذهب إليها برجليه ودخل إلى قبرها وقال لرفقاءه اخر جملة له:(إذا لم أعود خلال ثلاثة أيام فلن أعود أبدا إليكم) لأنه كان يعلم أنه في اليوم الثالث سيكون مع معلمه في الفردوس

تحية احترام لشاب كرس حياته لحب بلد بعيد عن بلده لالشيء سوى أنه وجد في هذا البلد صليب معلمه المسيح ليصلب عليه

الذكرى الأولى

حزيران صيف 1985

في 2حزيران من عام 1985 كانت قد سمحت الرهبنة اليسوعية للأب باولو ابتداءً من هذا التاريخ بقضاء كل فصول الصيف في دير مار موسى بهدف الترميم والصلاة والتثقيف تلبية لرغبة راهبها باولو اليسوعي وكنا مجموعة من ثمانية أشخاص وكلنا شباب وكان الجميع فرحون بهذا المكان البعيد عن كل مظاهر البذخ و كان المشهد الوحيد للبذخ في ذلك الوقت هو فرشة من الإسفنج بطول حوالي المتر والستين وعرض حوالي تسعين بسماكة تقدر بعشرين سنتمتر تشعر بها وكأنها مربعة الشكل

أطلق عليها اسم فرشة السفير وذلك لأن الأب باولو كان قد مر على السفارة البابوية في دمشق قبل شهر من افتتاح الدير لعمل له هناك ومن خلال حديثه مع السفير البابوي أعجب هذا الأخير بفكرة ترميم الدير فقام باولو بدعوته لقضاء عطلة نهاية الأسبوع وحدد له السفير يوم الجمعة في 12 حزيران موعدا لقدومه للدير وقضاء ليلة فيه

لا أعرف من أين حصل الأب باولو على تلك الفرشة بهذه المقاييس و كان حريصا على أن تبقى دائما بأحلى صورة وأن لا تتسخ على الأقل حتى موعد زيارة حضرة السفير وفي صباح اليوم المحدد كان التحضير قد بلغ أوجهه وبحدود الساعة الثانية عشر ظهرا أعلن المستطلع المكلف بمهمة المراقبة عن ظهور قادمان للديرمن بعيد.

فبدأ الجميع بالهرولة والركض كل منا باتجاه موقعه الوزاري

كانت المهام في الدير موزعة على الجميع كل واحد بحسب اختصاصه ففي الليلة الأولى لوجودنا في الدير أجلسنا باولو بعد العشاء أجمعين وشكل بما يشبه حكومته لتسيير الأعمال ووضع لكل واحد منا مهمة تحت اسم وزير

فكانت حقيبة الأشغال العامة مناطة باسمي أنا الوزير استلمت في تلك الليلة الوزارة وممتلكاتها التي كانت عبارة عن زنبيل من الكاوتشوك و رفشين وفأسين ومتر بطول 5 أمتار و 5 طواقي بلاستيك لحماية الرأس من الأصطدام بشي

وقد تم اختياري لهذا المنصب في الحقيقة لعدم وجود المنافسين فأنا الوحيد المهندس المدني الذي سأتخرج عن قريب

وكانت وزارة المياه مناطة بصديقنا وحبيبنا أبو السعود المقيم حاليا في بلاد الأستراليين لأنه كمايبدو وجد فيه الأب باولو وزيرا مناسبا لضبط استهلاك المياه في هذا المكان الصحراوي

حيث كانت المياه تأتي كل أسبوع بالصهريج من النبك الذي يفرغها داخل البربيش لتصل من رأس الجبل حتى أسفل الدير لتعبأ في 30 بيدون بلاستيك سعة كل بيدون من 25 إلى 30 ليتر أي ما مجموعه حوالي من 750-900 ليتر من المياه يجب أن تكفي لأسبوع كامل حتى الموعد القادم من يوم الخميس هذه المياه هي للشرب والطبخ والغسيل والتغسيل فأي نقص فيها ليوم الخميس سيكون وزيرنا أبو السعود محطوط في الكيس لذلك كان هو دائما صوته يرن في أذنينا صائحا بأعلى صوته من بعيد عبارته المشهورة: المي ياشباب

وأنيطت وزارة الكهرباء بصديقنا الحبيب فايز معمر الذي كان واقف تخرجه في كلية الكهرباء والميكانيك على كام مادة منذ عشرات السنين فكان كل مارأيته تراه مصطحبا معه كتبه على أساس هو زلمة صاحب دراسة ومابقيانلوا غير ها الكام فحص وبيتخرج باش مهندس كبير وهو إجا على الدير بالأساس حتى يدرس فالمكان كله رواق اكل ببلاش وعمل مافيش وأهلوا ملوا منوا ومن تخرجوا اللعين

فاستلم في تلك الليلة خمسة مصابيح كاز مع كازاتهم مع الكبريت عليه في كل مساء قبل حلول الظلام إيقادها وتوزيعها على أماكنها بالتحديد ليقوم في الصباح بمهمة تنظيفها وتحضيرها من جديد

وأنيطت وزارة التموين با الأخ جوزيف شمعون وهو لبناني الأصل كان سنة أخيرة ويصبح كاهن على الطقس السريان كاثوليك تطوع لوحده لهذه الوزارة لأنه كان له مراق بالأكل والطبخ والتحضير وأستلم ليلتها مطبخه الجديد ومافيه من ربطات خبز و بطاطا وبصل وسكر ورز وبرغل وقطارميز من دبس البندورة وملح وسمنة وبيدون واحد لزيت القلي وواحد لزيت الزيتون وملاعق وصحون وطنجرتين وبابور كاز للطبخ مع قاعدته الحديد

كانت الأشياء تصل للدير بواسطة التلفريك الذي هو عبارة عن سلك من الحديد بثخانة 6 ميلمتر مربوط بأعلى الجبل بعامود قصير من حديد ومربوط من الأسفل قرب باب الدير بقطعة حديد مثبتة جيدا في الأرض أشد التثبيت تنزلق عليه بكرة معلقا بأسفلها سلة من حديد مربعة الشكل طول ضلعها حوالي المتر يوضع بها مايراد إنزاله للدير وهذه السلة مربوطة بحبل ملفوف على بكرة كبيرة ثابته لتتحكم بسرعتها عند التنزيل

لذلك كانت المشكلة ليست في تأمين الأغراض وثمنها فقط المشكلة الأكبر كانت في إيصال كل شيء للدير وتنزيله على التليفريك

وأنيطت وزارة الأوقاف بالأخ جهاد بطاح الذي هو حاليا سيدنا المطران في دير السريان الكاثوليك بلبنان في منطقة حريصا بالتحديد كانت مهامه تحضير الكنيسة للقداس كل يوم من تنظيفها إلى إقاد الشموع إلى البخور إلى الكتاب المقدس إلى كتب التراتيل وتحضير التراتيل يساعده في هذه الوزارة الموقرة الأخ شربل اللبناني الأصل طالب السنة الثانية في كلية اللاهوت بالكسليك

وكان بيننا طفل بعمر العشر سنين نجح على الصف السادس اسمه جوزيف باشورة ويعمل حاليا منظم للنشاطات المسيحية من رحل إلى مسابح إلى حفلات كنسية يسكنون أهله في دمشق ويصيف مع أمه وأخوته في بلدتهم النبكية كانوا قد سمحوا له أهله بناء على رغبته في تمضية مايشاء في ذلك الصيف بين هذه المجموعة المسيحية أطلقنا عليه اسم (مارشلينو) لأنه يوجد فلم إيطالي بعنوان مارشلينو الخبز والخمر يحكي قصة ولد اسمه مارشلينو وجدوه رهبان الدير على بابهم الخارجي عندما كان رضيعا و ربي بينهم وبقي هذا الأسم مرادفا له إلى الآن

وبقي منصب رئيس الوزراء طبعا للأب باولو الذي كان له بلا منازع وعلى استحقاق جدير لأنه هو صاحب كل هذه القصة وهذه المشاريع.....نتابع الذكرى الأولى مع بعض في أقرب المواعيد وقد جزئتها لأنها طويلة حتى لا تملوا مني ومنها في الأخير

تتمة حزيران صيف 1985

سُمِعَ في الخارج صوت الأب باولو وهو يدرغل باللغة الإيطالية مرحبا بقدوم الضيفين وماهي إلا دقائق حتى كان ثلاثتهم واقفين في فناء الدير كان السفير البابوي رجلا في عمر الخمسين قصير القامة مربوع الشكل عندما تراه تعرف لماذا باولو اختار الفرشة بتلك المقاييس يرتدي ثوبا أبيض اللون يعتمر قبعة دائرية من الفلين يقف بجواره رجل طويل القامة نحيل يرتدي طقما أسودا يضع على رأسه حطاطة بيضاء يسير دائما بحذائه ويتهامسان بين الحين والحين

نادنا باولو يدعونا إلى التسليم والترحيب فاقتربنا منهما وعرفهم باولو علينا كلا بحسب اسمه ومركزه الوظيفي

وقام وزير المياه بحسب التعليمات الموكلة إليه بسكب الماء لهم من الأبريق في كاسات البلاستيك فاعتذروا منه وترجم باولو اعتذارهم بأن لديهم مائهم الخاص القادم بعد حين

كان الجو حار في مثل هذا اليوم من شهر حزيران لعام ألف وتسعمائة وخمس وثمانين وواجب تقديم المياه في هذا المكان الصحراوي هو بمثابة الهدية الكبرى للعطشان بعد طول المسير فالمسافة الواجب سيرها من مكان وصول السيارة إلى باب الدير لاتقل عن ساعة لمثل هذا السفير

فأول تكتيك لباولو قد خاب لأن الجماعة لايشربون من ماء هذا المكان القادم بواسطة الصهريج

جال باولو في أرجاء المكان يشرح بصوته الجهوري لضيفيه عن كل أقسام الدير ابتدءاً من الكنيسة إلى بقية غرف الدير ولم تمضي نصف ساعة حتى ولج إلى الدير شوفير السفير ينتع على كتفه الأيمن صندوقا أزرق اللون بغطاء بلون أبيضي حجمه بحجم نصف السفير إنه براد رحلات السفير قمنا بمساعدته على إنزاله على الأرض وركناه بجانب الحيط ليقبع في الظل هو وحامله فقد أعياه ثقله كل هذا الطريق

طلب السفير الماء ليشرب من سائقه الأمين فقام هذا الأخير بفتح غطاء البراد وأخرج منه قنينة الماء الفرنسية من ماركة بيرييه ذات اللون المائل إلى البرونز والمنحوته بشكل إنسيابي والمحاطة بألواح الثلج المغلف بالبلاستيك فاسترق الجميع النظر إلى مايحويه هذا الصندوق العجيب في هذا المكان البدائي

كان باولو يبدو عليه الأنزعاج قليلا فماكان قد خطط له من برنامج حافل لهذا السفير يبدو قد لم يوافق ضيفه الكبير فصاحبنا هذا كان قد قرر أن لاينام الويكند في الدير وأنه سيرحل بعد قليل لأنه كمايبدو لم تتطابق الصورة لديه مع مارآه في ذلك اليوم على أرض الواقع المعاشي

فطلب منه باولو قبل المغادرة بأسلوب جدي أن يقيم لنا القداس ليبارك الدير والموجودين فهو ممثل للحبر الأعظم في روما وبالتالي هو ممثل لبطرس صخرة المسيح فأذعن لطلبه ودخلنا جميعنا للكنيسة

بُدأ القداس على طقس اللاتين بناء على رغبة سعادة السفير

وكان النص الأنجيلي من الفصل 12 الآية 22-23-24 للقديس لوقا يقول: وقال لتلاميذه ((لهذا أقول لكم : لايهمكم لحياتكم ماتأكلون , ولا للجسد ماتلبسون. لأن الحياة خير من الطعام , والجسد خير من اللباس. تأملوا الغربان. فهي لاتزرع ولا تحصد , وما من مخزن لها ولا مستودع , والله يرزقها! وكم أنتم أفضل من الطيور))

في تلك الليلة كان العشاء مختلفا جدا عن كل الأعشية التي عرفها هذا الدير منذ بدء إنشائه إلى ذلك التاريخ لدرجة أنه لم يخطر ببال كل من مرّ عليه من رهبان أنه سيأتي عليه رهبان في يوم من الأيام يتعشون هذا العشاء الوفير ومن من من سلة صخرة كنيستها بطرس صياد السمك الفقير

فقد ترك السفير لنا صندوق براده بكل مايحتويه فوضعناه في وسط الطبلية (طاولة قصيرة الرجلين) وبدأ كل واحد منا يتسأل ماهذه الأكلات الموجودة فيه تعرفنا وقتها على مايسمى مياه البيريه ونبيذ فرنسي وجبنة كنا نراها فقط في مسلسل توم وجيري مثقبة بثقوب مختلفة المقاييس وخبز الصمون أما الباقي فقد أكلناه دون أن نعرف اسمه حتى هذا التاريخ

كان باولو صامتا طوال الوقت يبتسم من بعيد فتكتيكه لهذا الحدث لم يصيب

وقد شاهد بأم عينيه انفصاماً مابين الكنيسة و مابين المسيح

بقيت الفرشة وحيدة لم يستعملها أحد في ذلك الحين لأنه لا احد يستطيع النوم عليها والباقي على الحصير

وأصبحت قناني البيرييه تعبأ من ماء الصهريج وتستعمل لآلاف المرات فالشرب منها ينقلك لعالم غريب تسبح فيه بخيالك لمحل ماتريد

واستعملت زجاجتي النبيذ الفارغتين كشمعدانان وضعا على جانبي مذبح كنيسة المسيح

الذكرى الثانية

تموز صيف 1985

لاأستطيع أن أكتب عن ذكرياتي في دير مارموسى الحبشي دون الكتابة عن ذكرياتي مع البنات فيه ولايروح فكركم لبعيد (راح وخلص) ففي صيف 1985 وبعد افتتاح الدير بقرابة الشهر أو الشهرين وصل إلى الدير الأب سامي حلاق اليسوعي ويرافقه أربع من البنات الحلوين وبدون ذكر أسماء والدخول في التفاصيل أصبح للدير نكهة لذيذة ولقمره في الليل شكل جديد فلم تعد الشباب تنام من بكير وأصبح الوزراء ليل نهار في خدمة المواطنين

كانت إقامة الصبايا فقط من من الخميس إلى الأثنين ولكنها خربطت كل نظام الدير فكان باولو المسكين ذو العمر الثلاثين يضطر لأن يسهر رغم تعبه الشديد راكيا ظهره على الحيط ينام ويصحو بين الحين والحين وفي النهاية يعتذر من الجميع ويذهب إلى فراشه موصيا الجميع بأن الوقت قد تأخر ولا يجب التطويل فغدا يوم عمل جديد

وفي أحد الليالي نام هذا المسكين من كثرة تعبه وأوصانا كعادته أن البنات ينامون في قسمهم البعيد ونحن علينا أن ننام من بعده دون تأخير

فرتأينا كلنا شباب وبنات أن في هذه الليلة علينا أن نسمع كلام باولو فلربما هو مزعوج من سهراتنا كثير ولايفصح عما هو فيه وذهب كل قسم إلى مكانه بالتحديد

وبينما نحن الشباب ندخل لمهجعنا الكبير والذي هو جناح الكنيسة اليميني ذو العرض 3 أمتار وطول 9 أمتار بالتقريب حيث كنا ننام مع باولو أجمعين وإذ بباولو ينتفض من فراشه واقفا على قدميه مذعورا ينظر إلينا نظرة الشك وعدم اليقين قائلا لنا : لوين ياشباب رايحين كان يفتكرنا أننا مستيقظين في الليل وعند هن رايحين

فضحكنا وقلنا له باولو نحن : جايين للنوم مانا رايحين

فنظر في ساعته بعد أن أشعل فيها البيل فكانت العاشرة والنصف ليلا أي بعد ذهابه للنوم بنصف ساعة بالتحديد فاعتذر منا أجمعين قال: أنا آسف شباب كنت مفكركون رايحين مو جايين فقلنا له: إذا بدك يانا منروح هلق ماتاكل هم

فقال: لوين بدكون ترحوا

قلنا له: محل ماكنت مفكرنا رايحين

فضحك الجميع ونمنا ليلتها والكل مطمئنين

بعد رحيل البنات عاد الدير إلى روتينه القديم

وفي جلسة بعد العشاء وقبل النوم بقليل شرح لنا باولو وجهة نظره من زيارة البنات للديرقائلا: وجود البنات في الدير هو مثل طبقة العسل أو السكر الضروري وضعها على سطح كل شيء لتعطيه شكلا جميلا وطعما لذيذا ونكهة غير ولكن في نفس الوقت هذه الطبقة هي ستجذب الذباب من كل ميل

فمقابل هذا الشكل والطعم والنكهة علي أنا أن أتحمل غلاظة ووسخ الدبابين (جمع ذبابة)

وبعد هذه الذكرى بدأت أشعر أن لهذا المكان نظامه الغريب العجيب اللذيذ

الذكرى الثالثة

حزيران صيف 1986

في إحدى سهراتنا في دير مارموسى في صيف 1986 حدثنا أبونا باولو عن صيفية قضاها في جبال اسيا حيث الغابات هناك معزولة عن العالم الخارجي والناس تعيش بطريقة بدائية كأنها من بدأ التاريخ عندما كان بمهمة تبشيرية من قبل الفاتيكان وقت كان طالب في سنته الأولى لدراسة الكهنوت

وفي إحدى زياراته لأحدى هذه المجموعات مع المترجم حاول إيصال فكرة الإيمان بالمسيح لهم فماكان منه إلا أن سألهم هذا السؤال : أين يذهب الإنسان بعد أن يموت ؟

فماكان منهم إلا أن نظروا إلى بعضهم البعض بأستغراب من هذا السؤال ومن ثم فرطوا جميعهم بالضحك قائلين : أين سيذهب إنه مطمور تحت التراب مكان ماهو مقبور

فعلم باولو أن فكرته لم تصل إليهم فعاود السؤال بطريقة أخرى فقال لهم:

طيب ما هو أهم شيء بهالحياة ؟

فعاودوا جميعا ينظرون إلى بعضهم البعض بأستغراب ومن ثم فرطوا من الضحك وقلبوا جميعهم على ظهورهم من كثرة الأعياء من الضحك وقالوا له: أهم شي بهالحياة هو الأكل

ووجد باولو نفسه مرة أخرى أن فكرته لم تصل إليهم فقال لهم :طيب شو في كمان شي مهم غير الأكل ؟

فعاودوا يضحكون من جديد وقالوا بصوت واحد : النساء

فعاود باولو السؤال : وشو في شي مهم غير النساء؟

واستمروا في ضحكهم وقالوا له : النوم

وهنا سألوه هم هذه المرة وأنت شو عندك أهم من هذه الأشياء؟

فلم يجد باولو مايقوله لهم ليوصل فكرته عن الإيمان بالمسيح فهم بالإنصراف وهو يسمع صوت ضحكاتهم تلاحقه وهو يغادر المكان

وضحك هو أيضا على صوت ضحكاتهم فحقيقة لماذا عليه أن يوجع رأسهم بأشياء لها أول وليس لها آخر طالما هم سعداء في عالمهم البسيط

الذكرى الرابعة

حزيران صيف 1987

في صيف عام 1987 أي في الصيفية الرابعة لترميم الدير وكان قد أعيد سقف وجناحي الكنيسة وسقف المطبخ في صيف 1984 وسقف أربع الغرف الغربية فوق البوابة في صيف 1985 وتم سقف الغرف تحت باحة الدير مع بداية ترميم الجدار الجنوبي المنهار في صيف 1986 وكان العمل في صيف 1987 على استكمال بناء الجدار الجنوبي وبدأ اسم الدير يطرق في المنطقة وبدأت أعداد الزوار من النبك والضيع المجاورة تقصد المكان بهدف الأطلاع عما يجري ولمقابلة هذا الشاب الأيطالي البعيد عن التصديق فيما يفعل وطبيعة الزوار كانوا من الجيران المسلمين المحترمين جدا للمكان والمعجبين بهذا العمل البديع

وفي أحد الأيام وصل خبر إلى الأب باولو أن مسيحيي النبك قرروا أن يضعوا صليب كبير عند رأس الجبل المطل على الدير بحيث يظهر هذا الصليب لمسافات بعيدة لكل المنطقة التي حول الدير وأنهم جمعوا المال اللازم ووضعوا التصميم واتفقوا على بداية التنفيذ مع المتعهد وهم برأيهم أن الدير ديرهم وهم ليسوا بحاجة لأخذ موافقة أحد وأن مايصنعونه هو قمة الأيمان ومافي داعي للنقاش

لم يمضي يوم أو يومان حتى سمعنا ضجة وشاهدنا جرافة في أعلى الجبل تقوم ذهابا وإيابا بقشط المكان وتسويته ليكون قاعدة مناسبة للصليب

هل أنت مع هذه الفكرة أم ضدها ؟

لم يأخذ الأب باولو القصة التي سمعها منذ يومين عن عزم النباكنة في وضع صليب على أعلى قمة الجبل المحاذي للدير مأخذ الجد وظن أنها لاتتعدى الفكرة التي ستتلاشا لوحدها لأن الموضوع يحتاج للمال ومن سيقوم بدفع المال لذلك هو لم يحرك ساكنا حتى وجد نفسه أمام الأمر الواقع ولم يدري الأب باولو أن هناك متغيرات جديدة تبدلت في النبك وتغيرات جديدة تبدلت في الدير الذي يقوم بترميمه وأمام هذان المتغيران لابد من التعامل بطريقة أكثر حكمة

يبلغ عدد سكان النبك حوالي 100,000 نسمة وعدد المسيحيين 1,000 نسمة وينقسم المسيحيين إلى 3 طوائف السريان الكاثوليك والروم الكاثوليك والبورتستانت ويتبع دير مارموسى لكنيسة النبك التي تتبع لمطرانية حمص لطائفة السريان الكاثوليك وعندما نقول مسيحيي النبك الذين بدأووا بالتدخل بأمور دير مارموسى هم جزء من طائفة السريان لأن طائفة السريان المقدر عددها ب500 شخص كانت تقسم إلى 3 أقسام بحسب موقف كل قسم من ترميم الدير فقسم كان يجد في الأب باولو شخص يقوم بترميم ديرهم الذي كان خرابة للرعيان دون أي مقابل وشو بدو الواحد أحسن من هيك وكان هذا القسم حياديا ويثني على الأب باولو في كل مايفعله وقسم كان معارض لما يقوم به الأب باولو يريد أن يأخذ الأموال التي يقوم الأب باولو بجمعها ويقوم هو بترميم الدير لأن من وجهة نظر هذا القسم قد يكون هناك أموال مجموعة أكثر بكثير من ماينفق على ترميم الدير وقسم ثالث كان مؤيد للأب باولو طالما هو يستفيد من كل الأعمال الترميمية والتسويقية والمالية في الدير

أما مصدر الأموال التي كانت تأتي للدير عن طريق الأب باولو فهي التالية

كانت تكاليف الترميم تغطى من قبل مديرية اثار ريف دمشق وفق الخطة الموضوعة من قبل مهندسيي الإدارة الذين كانوا يقومون بصرف الكشوفات مع انهاء العمل في نهاية كل موسم صيفي وكانت الميزانية المرصودة كل صيف هي بحدود 400,000 ليرة سورية

كان هناك صندوق من الفاتيكان يغطي مصاريف الأكل للشباب التي تعمل كمتطوعين في الدير

كان الأب باولو له علاقاته الشخصية التي تقوم بالتبرع

وكان الأب باولو يحصل على 2% من مبيعات رسالتة في الدكتوراه التي عنوانها: الرأفة في الأسلام

التي كانت دار نشر عالمية تقوم بطباعتها وبيعها

هذا على علمي كل ماكان الأب باولو لديه من مصادر الأموال حتى تلك اللحظة

كانت فكرة وضع الصليب قد أتت من القسم المعارض وكان يتزعم هذا القسم الأب جبريل ابن منطقة النبك وخوري كنيستها وهو في الخمسين أعزب يعرج من رجله اليمنى وكان من وجهة نظره أن كل مايفعله هذا الشاب الأيطالي تخبيص بتخبيص ولكن الموضوع لم يأخذ على محمل الجد إلا بعد مرور أربع سنوات وجد خلالها الأب جبريل أن هذا الأيطالي يزداد تعلقا بدير مارموسى مع إكمال ترميمه وبناءه وأن الموضوع سيزداد صعوبة كلما تأخر به الوقت في وضع حد لهذا الشاب الإيطالي

وبدأ مع الأب جبريل يستشعر مسيحيي النبك على مختلف طوائفهم الثلاث أن تغييرا ما بدأ يلوح في الأفق يمس مكونهم المسيحي ودفاعاتهم وتقاليدهم وعاداتهم تجاه المحيط الأسلامي الضخم الذين هم في وسطه منذ مئات السنين والذي لايريد أحد منهم أن يمس بأي شيء جديد سواء إيجابيا أو سلبيا فقد اعتادوا على طريقة في الحياة مع جيرانهم الإسلام توارثها عن أبائهم وأجدادهم وتقضي بأن يتجنبوا أي احتكاك بهم لا من قريب أو من بعيد إلا في حالات الضرورة القصوى كالأحزان وبعض مراسم الأفراح الوطنية

فلذلك كان مسيحيي النبك متكتلين جميعهم في بيوت متلاصقة على بعضها في حي معروف بحارة النصارى تضم دكاكينهم وكنائسهم وبيوتهم وكانوا مكتفين ذاتيا في هذا الحي بكل شيء بحيث لاتضطر الناس وخاصة النساء من الخروج منه ففيه كل مايعوز المرء من ثياب ومصاغ وأكل وشرب ومهن على مختلف أنواعها

مع صيف 1987 بدأ دير مارموسى يأخذ شكله الجديد القديم وبدأ كل شيء يتغير في هذا الوادي

والذي يبعد عن النبك حوالي 15 كم باتجاه الشرق فالدير ليس هو فقط كتلة البناء الحجري المرممة بل هو كل مايعبر عن الوجود المسيحي التاريخي ليس فقط في النبك بل في سوريا كلها

هذا التاريخ وهذا التراث الذي هو محبوس في الأحياء المسيحية في كل مدينة وقرية لايستطيع أن يعبر عن ذاته وعن جذوره وعن أصالته وجد في دير مار موسى الحبشي رمزا حيا يبعث من جديد ليقول هانحن هنا باقون ونحن الأصل وأنتم الدخلاء ومن هذا الشعور الجديد الذي تبلور ظهرت فكرة وضع الصليب الان على قمة هذا الجبل القريب

كانت فكرة الأب باولو في عدم وضع الصليب على قمة الجبل أنها فكرة لاتقدم ولاتأخر في الإيمان بل وجد فيها نوع من التحدي والتباهي للمسيحيين أمام جيرانهم ومحيطهم المسلمين الذي لاداعي له لأنه سيشكل عامل تفرقة أكثر ممايشكل عامل تعايش

لذلك كان هو ضد هذا الموضوع ولكن ما الحل فجميع الأوراق هي ملك الأب جبريل ولايستطيع أن يعارضه فليس لديه أي ورقة لمجابهته غير ورقة وحيدة اضطر الأب باولو لأستخدامها لأنه إذا لم يستخدمها الان فالصلبان المستقبلية التي سيضعها الأب جبريل أمامه لاأحد يعرف عددها ولا قوتها وبدأ باولو يتعامل مع الموضوع بالطريقة الإيطالية الماوفوية والميكافيلية أي الغاية تبرر الوسيلة

كانت فكرة الأب باولو من ترميم دير مارموسى الحبشي تختلف عم يدور في رأس الأب جبريل ومسيحي النبك و مسيحي سوريا فالأب باولو يريد أن يذهب بالدير لأبعد مسافة ممكنة من وجهة نظره وهي جعل هذا الدير مكان لتلاقي وحوار المسلمين والمسيحيين وهو ماكرس حياته لها من دراسة وتعلم اللغة العربية أما الطرف الاخر فيريدون الذهاب بالدير لمسافة تجديده فقط والقول للاخر أننا هنا من قبلكم

لم يتصدى الأب باولو للجرافة التي كانت تعمل ذلك اليوم ولم يأخذ ويعطي في الموضوع كثيرا بل التزم الصمت وعدم اللامبالاة ظاهريا لكن في أعماقه كان يعد طبخة إيطالية فاخرة لهذا النبكي الذي لايعرف من طبخات الطليان حتى الان غير السباكيتي والبتزا

ويوما بعد يوم بدأت تتضح على رأس الجبل معالم جديدة فبعد كشط وتسوية المكان نصب عامود من الحديد بارتفاع حوالي 6 أمتار تقطعه في في قسمه العلوي عارضة حديدية بطول مترين مشكلين مع بعض شكل صليب

كلف هذا المشروع عمل الجرافة لمدة 6 أيام لأنها فتحت طريق تصل له السيارة لعند قاعدة الصليب طول هذا الطريق بحدود 20 متر وفسحة عند القاعدة تستطيع السيارة الدوران حول الصليب والعودة بالإضافة لثمن المعدن وأجرة تصنيعه ونقله وتركيبه لم يهتم الأب باولو لابمن دفع ولا بكم دفع ولكن علم أن هناك من يدفع خارج عن دائرته

في ذلك الصيف كانت حركة الزوار قد بدأت تتزايد وكان الزوار المسلمين من المناطق المجاورة للنبك مثل يبرود ودير عطية وقارة وجيرود وعسال الورد تأتي بشكل عيل من رجال ونساء وأولاد يقضون يوم عطلتهم في الطبيعة ويزورون الدير ويفترشون مكانا مناسبا بعيد عن الدير يحتوي على الظل لقضاء وقت الغداء فيه وكان الأب باولو موضع ترحاب وتأهيل من قبل هذه العيل التي كانت تجد فيه شخص محبب ذاع صيته عن تكلمه للعربية وبلهجة أهلها المحليين ويحترم خصوصيتها الأسلامية ويعرف كثيرا عن عاداتها وثقافاتها وطبائعها

وكان مسلمي الجوار مستغربين وجود باولو في هذا المكان أكثر من المكان لأن المكان موجود بينهم منذ زمان ويعرفونه ولايعنيهم سواء ترمم أو لا أما هذا الشاب الأوربي فكان بمثابة اللغز المحير بالنسبة لهم بعكس المسيحيين الذين وجدوا المكان يولد من جديد ولم يجدوا في شخص باولو سوى وسيلة للحصول منها عما ينقصهم فيه

كان هناك روايتان عن دير مارموسى فإحدى الروايات تقول : أن موسى الحبشي هذا هو ابن لملك الحبشة وأن أبوه كان يريد تزويجه ولكن الشاب كان يرغب بحياة النسك فهرب من وجه والده قاصدا مكانا بعيدا لايصل أحد إليه فكان أن وصل إلى هذا المكان حيث وجد فيه ضالته المنشودة فااستقر فيه وعندما علم الأب بعد زمن بمكان ابنه أرسل له صندوقا محملا بالجواهر والذهب حتى يضعف أمامه ويعود إليه

فماكان من الولد موسى سوى أن أخفى هذا الصندوق في مكان يصعب الوصول إليه و لاأحد يعلم فيه حتى لايضعف أمامه.

ورواية ثانية تقول :أن مارموسى هذا كان لص وقطاع طرق في منطقة النيل وعندما قرر أن يتوب حمل كل غنائمه وجاء إلى هذا المكان البعيد وأخفى فيه كنزه الكبير

وعندما كان يُسئل الأب باولو عن حقيقة هاتين الروايتين وهل هناك كنز في هذا الدير فكان يقول :نعم يوجد كنز في هذا الدير وأنا وجدته وهو كنز روحي لايقدر بثمن تعالوا خذوا منه قدر ماتستطيعون فأنا أخذ منه كل يوم وهو لاينضب ويكفي للجميع وهذا هو الكنز الحقيقي في هذا الدير والذي لايراه خليه يدور كل حياتو على هداك الكنز لشوف بالأخير شو رح يلاقي غير اخرتوا

كان فصل صيف 1987 قد شارف على الأنتهاء ومع نهايته سيغلق الدير بابه حتى قدوم الصيف المقبل 1988 وماهي إلا أيام قليلة قبل تسكير الديرحتى كان فرمان قد صدر من رؤساء الأب جبريل بنقله من النبك إلى عندهم في بطركية السريان كاثوليك .

قام الأب باولو بتركيب طرف التلفريك القديم من ناحية الجبل على الصليب الجديد حيث كان يشكل قاعدة مناسبة لهذا الغرض وخاصة أن السيارة تستطيع الوصول لعنده فشكل الصليب بقي كماهو ولكنه استفاد منه لنقل أغراض الدير فأصبح الواحد يستطيع أن يقول عنه صليب أو ليس صليب هو قاعدة للتلفريك

وعندما اعترض ماتبقى من جماعة الأب جبريل على استخدامه للصليب كقاعدة للتلفريك دون أن يحاسبهم بذلك أرضاهم بمافيه النصيب وانتهت هنا صيفية 1987

الذكرى الخامسة

شباط شتاء 1988

في شتاء 1988 قدم إلى دير مارموسى الحبشي مجموعة من أربع مهندسين شابان وفتاتان طليان ليقوموا بعملية رفع للدير (أي رسم مخطاطات له كماهو في الواقع) والهدف من هذا الموضوع هو أن الأب باولو كان قد عمل على تأمين منحة من وزارة الثقافة الإيطالية لصالح وزارة الثقافة السورية لترميم دير مارموسى وكان هؤلاء المهندسين مرسلين من إيطاليا ضمن برنامج المنحة فأقاموا في الدير لمدة ثلاث ليالي بوجود باولو وأنا وثلاثة من الشباب من حلب و كنا خمستنا نساعدهم في عملهم مجانا في ذاك البرد القارس كإمساك المتر من طرفه أو الوقوف بالشاخصة الرقمية ليقيسوا بجهاز النيفو (جهاز قياس المناسيب) مناسيب الدير أو إعداد الطعام لهم أو إشعال المدفأة وتدفئة غرفهم وتأمين حاجاتهم قبل كل شيء

المهم انتهينا من هذا العمل وودع الجميع بعضنا البعض

وبعد مرور حوالي عشرة أيام التقيت بهم صدفة في دمشق بمنطقة باب الجابية وكان معهم دليل سياحي يرافقهم وعزموني على العشاء في ذلك اليوم في مطعم أبو العز لأنومسافرين في اليوم التالي

وأثناء العشاء صرنا أنا والدليل نتحدث مع بعض فسألني من أين تعرفهم : قلت له أنا مهندس و لقد ساعدتهم في عملهم في دير مارموسى الحبشي فسألني: ماقصة هذا الإيطالي الذي اسمه باولو الموجود هناك هل تعرفه فقلت له ماذا قالوا لك هم عنه: فأجابني قالوا أنه مجنون مصاب بداء العظمة يستغل الدير لصالحه.

فعاد وسألني هل تعرفه: فقلت له شايف هدول الأربعة وأنت معهم وأنا معك قال :إيه

قلت له: جميعنا هلق قاعدين عم ناكل من ورا هذا الزلمة فقال: كيف يعني

قلتلو : هدول جايين لسوريا لمهمة مدتها 15 يوم من المفروض أنو يقضوها كلها في الدير قضوا 3 أيام والباقي داروا فيا سوريا وأنت يلي دورتون وها الشي ماكان بيصير لولا هادا الزلمة لأن هدول كانوا عم يقبضوا مصاري وهنن عم يدوروا ويشموا الهوى وهداك الزلمة يلي عم يقولوا عنوا مجنون هو يلي سمحلون بها الشي فترجملون بس روح لأنو أنا قايم روح هلق ورح قلون الدليل هو بقلكم ليش رايح بسرعة و رح يسألوك ليش رحت بسرعة قل لهم : هلق أنا عرفت ليش هو ترك هالعالم يلي متلون بإيطاليا وإيجا لعنا وأنا متلو تاركون ورايح

الذكرى السادسة

آذار ربيع 1989

في ربيع عام 1989 كان قد سمح للأب باولو اليسوعي من قبل الرهبنة اليسوعية بالذهاب إلى دير مارموسى الحبشي خلال فصول الخريف والشتاء والربيع لقضاء ليلتي الخميس و الجمعة فقط بعد أن سمح له بقضاء فصل الصيف كله ابتداء من عام 1985

وكان يومها الطقس ربيعيا جميلا فأغلقنا باب الدير وأخذنا زوادة معنا وأنطلقنا في جولة بعيدة وبعد مسيرة حوالي ساعة ونصف تقريبا مررنا بجانب كسارة حجر وكان يوم جمعة وهي بالعادة تكون مغلقة في مثل هذا اليوم وكان قد اجتمع فيها حوالي خمسة عشر رجلا يبدو أنهم خرجوا مثلنا إلى الطبيعة وتابعنا سيرنا ولكن إصرارهم على مناداتنا جعلنا نرضخ لصراخهم واقتربنا منهم وجلسنا في مكان قريب منهم وأتوا هم بالشاي ونحن نشرب الشاي كان بينهم شاب سأل الأب باولو السؤال التالي: عدد مسلمي النبك 100,000 نسمة وعدد المسيحيين فيها 1,000 نسمة ليش هدول المسيحيين مابصيروا إسلام وبيخلصونا وبيخلصوا

فالتفت باولو على الجميع وقال بصوت مسموع :ياشباب أنتو عزمتونا على كاسة شاي ونحن قبلنا العزيمة ومنتشكركن خلونا نشرب كاسة ها الشاي ونودع بعضنا أصحاب وأحباب مثل ماستقبلتونا . فاعترض أغلب الموجيدين على رحيله بهذه السرعة وطلبوا منه أن يجاوب عن هذا السؤال وسألوه: لماذا يتوقع أن الجواب على هذا السؤال سيؤدي إلى خروجه بغيرتوديع فقال: ياشباب من أسبوعين كنت مسافر بباص الهبهوب من النبك إلى حلب وأنا بالعادة أقعد في المقعد الأخير وفي المنصف لأستطيع أن أمد رجلي لأن المسافة طويلة وأنا طويل وبسبب طولي وكسمي الغريب لفتت نظر بعض الركاب الذين بدأوا يتحدثون معي ولما عرفوني أنني من ايطاليا وأتحدث اللغة العربية وأنني راهب فتحو معي موضوع الإسلام والمسيحية ولولا لطف الله ورحمتوا كانوا بدون يزتوني من الباص وهو ماشي فأنا من وقتا مابحب أفتح ها الموضوع مع حدا مابعرفوا فقالوا له: أنت يجب أن تميز بين الإسلام وبين المسلمين هناك كثير من الناس المسلمين ولكن حقيقة هم بعيدين عن الإسلام وعن القران الكريم أنت يجب أن تحكم على الإسلام من القران الكريم وليس من المسلمين وهدول الناس مالون حق أبدا يعملوا هيك أبدا فيك إلا إذا أنت كنت أثرت غضبون وقلتلم كلام غير صحيح عن الإسلام أو المسلمين و إلا ليش بدون يزتوك من الباص وهو ماشي

في هذه الأثناء كان الأب باولو قد مرر لي نظرة خاطفة وسريعة فهمت منها هلم بنا نذهب يجب علينا أن نغادر هذا المكان بأسرع وبألطف طريقة ممكنة (اسغربت موقف باولو في عدم أخذ الأمور ببساطة وماهذه القصة التي حدثت معه في ذلك الباص لم يخبرني عنها ولأول مرة قرأت الخوف في عينيه علي أولا وعلى حاله ثانيا بيني وبين نفسي كنت أقول مافي داعي لمغادرتنا للمكان بهذه السرعة وخصوصا أنو كاسة الشاي لسع ماصارت لنصا ونحن صرلنا ساعة ونص تعبنا وبحاجة لأستراحة طويلة والجماعة أكيد بعد قليل بدون يتغدوا أي مومعقول يتركونا نطلع من عندون بلا غدا مهما كان الغدا أكيد أفضل من زوادتنا الفقيرة المحتوية على بطاطا مسلوقة من عشاء البارحة مع ثلاث أو أربع أرغفة ورشة ملح وقليل من الماء) ووقف باولو ووقفت معه وسرت باتجاهه لأني كنت أجلس مقابل له وهممنا بالأنصراف هنا كانت قد بدأت الأصوات تتصاعد مستغربة تصرفنا هذا واعتبروا عدم إكمالنا لكاسة الشاي مثل إهانة لهم فاعتذر الأب باولو منهم وشرب ماتبقى بجرعة واحدة وطلب مني ذلك ايضا ولكنني لم أفعل وبقيت إلى جانبه وقال لهم السلام عليكم أنتوا استقبلتونا أحباب وأصحاب ونحن من ودعكم نفس الشي أحباب وأصحاب فقام مسرعا هذا الشاب ومعه شخص اخر باعتراض طريقنا بطريقة تمنعنا من السير

فاعترض على هذا التصرف الذي قاما به هذين الشابين قسم من الموجودين وكانوا نسبيا أكبر سنا من الباقين وعددهم تقريبا من خمسة إلى ستة أشخاص ووقف واحد من بينهم أكبرهم سنا وقال: خلوا يروح يأخي وخلونا نخلص من ها القصة وبعدين مسيحية النبك ما مأثرين علينا بشي بحبو يتموا مسيحية ولا يصيروا إسلام يصطفاوا يلي بدون يا يساووا ليش نحن اكلين همهم وبعدين الجماعة بكرا بيدروا شو صار هون وبياخدوا على خاطرون مننا أنو نحن بدنا نساويون مسلمين وهنن بيعرفونا ومنعرفهم بالأسم وفي منن صحابنا وبعد أن قال هذا طلب بصوت عالي من الشابين المعترضين لطريقنا وللمجموعة التي تؤيدهم أن يتنحوا جميعا جانبا ويسمحوا لنا بالرحيل ويبدو أن لهذا الرجل ومجموعته سلطة واحترام على كل الموجودين فابتعد الشابان جانبا ومن ورائهم مجموعتهم وعم السكوت المكان وكان الطريق مفتوحا أمامنا للمغادرة وبدلا من أن نغادر تفأجت بالأب باولو وهو يوجه سؤاله إلى ذلك الشاب بقوله له إذا كنت بتحب تسمع جواب سؤالك أنا بجاوبك بس بشرط واحد أنو مانخرج أبدا عن جواب هذا السؤال ولادخلني بأي أسئلة ثانية عن أي موضوع تاني غير هادا السؤال فالتفت الشاب إليه مدهوشا من سؤاله هذا ونظر للأب باولو باستغراب وبقي صامتا لم يفتح فاه لا بنعم أو لا ونظر باتجاه الرجل المسن بنظرة وكأنه يطلب الجواب منه على سؤال باولو هنا ثارت ثأرت الرجل المسن وطلب من باولو الرحيل فورا من هذا المكان وقال له بالحرف الواحد روح كف بلاك عنا

وافق الجميع على شروط باولو بأن لايجاوب سوى عن هذا السؤال وأن لايتطرقوا معه لأي موضوع اخر بعد أن شرح لهم باولو أن حجته في ذلك انه يخاف أن يحدث معه كما حدث سابقا في باص الهبهوب حيث بدأت القصة بسؤال بسيط تطور فيما بعد إلى نقاش حاد كاد أن يودي بحياته.

جلس الجميع وانسحب من الجلسة كبيرهم سنا بعد أن عرف أن الجميع يرغب بمتابعة الموضوع إلى اخره وقال المسن عند مغادرته : أنا ليس لي أي علاقة بما سينقل إلى مسيحيي النبك لأنني لاأريد أن يقال أن أبو فلان كان معهم في هذه الجلسة.

بدأ الأب باولو حديثه قائلا: مسيحيي النبك المتبقين الان هم ماتبقى من كل مسيحيين النبك بعد 1400 سنة بعد أن قتل بعضهم و رحل بعضهم وأصبح مسلمين بعضهم الاخر وهم الذين بقوا إلى الان عندهم رغبة واحدة أن يبقوا مخلصين لأباهم وأجدادهم في أن يموتوا كما مات أبائهم وأجدادهم على دين عيس عليه السلام فليش أنت بدك تمنعهم من هذه الرغبة فقال الشاب: لأن الأسلام هو الدين الصحيح والنبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتمة الأنبياء فقال الأب باولو: هذا برأيك ورأي أبائك وأجدادك الذين رأووا هذا وغيروا دينهم من أتباع عيسى عليه السلام إلى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فقال الشاب: وكيف تعرف أن أبائي وأجدادي كانوا مسيحيين وأصبحوا مسلمين أجاب باولو : أجدادك هم واحد من اثنين إما هم مسيحيين وصاروا مسلمين أو جاؤوا مسلمين من شبه الجزيرة العربية مع الفتح الإسلامي والعربي للمنطقة أو في احتمال ثالث لاتقلي أنهم جاؤوا من المريخ فقال الشاب : ولنفرض أنهم كانوا مسيحيين وصاروا مسلمين أو جاؤوا من شبه الجزيرة العربية مسلمين المهم أنهم اهتدوا في النهاية للدين الصحيح وعلى مسيحيي النبك أن يهتدوا إلى الأسلام الذي هوالدين الصحيح فقال له الأب باولو: بس أنت مافيك تجبرون على ها الشي لأن الدين الأسلامي لايجبرهم على ذلك الدين الأسلامي بقول للمسيحيين إما عليكم أن تقتلوا أو تصبحوا مسلمين أو تدفعوا الجزية للمسلمين وهؤلاء المسيحيين حتى يستطيعوا أن يبقوا مسيحيين إلى الان في النبك فضلوا أن لا يرحلوا وأن يدفعوا الجزية للمسلمين فقال له الشاب: بس هنن هيك خسرانين فقال له الأب باولو :صحيح كلامك هم خسروا الدين الأسلامي ومافيه من حسنات مقابل أن يخلصوا لأبائهم وأجدادهم الذين رأوا فيهم حسنات أكثر من ممارؤوها في هذا الدين الأسلامي الجديد عليهم وعلى أرضهم فقال الشاب : وشوهنن شافوا حسنات بأبائهم وأجدادهم أهم من الحسنات الموجودة في هذا الدين الأسلامي الجديد عليهم وعلى أرضهم فقال الأب باولو: الحسنات يلي شافوها بأبائهم وأجدادهم هي نفس الحسنات يلي ماشافوها أبائك وأجدادك في أهاليهم حتى كان يبرر لهم أن يتركوا دين أبائهم وأجدادهم ويصبحوا مسلمين على دين غريب عنهم وعن أرضهم

ساد االصمت المكان لبضع دقائق ليخترقه صوت باولو الجهوري هذه المرة قائلا : بس ياشباب ماعرفتونا على حالكم قبل مانمشي لأنو صار بيناتنا شاي وسكر متلا متل الخبز والملح فبدأوا يلتفتون على بعضهم والواحد يقول اسم يلي بجانبه إلى أن وصل الدور إلى ذلك الشاب فقالوا الذين بجانبه : أنه الشيخ .....العائد إلى النبك من الخليج (السعودية) هو ذهب للعمل هناك و الله وفقه هناك فعاد موفقا بالمشيخة ويبدو أنهم ليس كما ظننت أنهم خرجوا للطبيعة للطقس الجميل كما قلت في بداية القصة عندما رأيتهم لأول مرة وهذه هي مشكلتي أنا المسيحي في سوريا أفكر أن الاخرين يفكرون مثل ما أنا أفكر

الذكرى السابعة

حزيران صيف 1989

في نيسان 1989 قدمَ إلى سوريا رئيس وزراء إيطاليا آنذاك بيتزاتو بذاتو لمدة أسبوع نصفها للعمل الدبلوماسي مع رئيس وزراء سوريا آنذاك عبد الرؤوف الكسم مدري الزعباتو وبينو وبينكون الأثنين مو طالع بأيدون يربطو صباتون

ونصف الأسبوع الآخر للسياحة في سوريا والأستمتاع بما هو فيها من موجوداتو

وكان باولو بذاتو هو المترجم الشخصي للسيد بيتزاتو أثناء النصف الثاني لهذه الجولة لأن السفارة الإيطالية بدمشق لم تجد أفضل منه لهذا الموضوع فأخذت رأيه بالموافقة أو عدماتوا فكان رده لهم أنه قدها وقدود وبدون أي فلوساتو

كان باولو يغتنم أي شاردة أو واردة لخدمة شو في براسو وشو في براسو ليل ونهار غير ديرو وبناؤه

فكيف سيستفيد من ترجمته لبيتزاتو وخاصة أن برنامج زيارتو مالو علاقة بكلشي اسمو مار موسى وشي اسمو باولو

ولكن لباولو خطته المسبقة حتى وافق على الترجمة فمن ورائها ومن وراء بيتزاتو سيحصل على مبتغاهو الذي سيخدم ديره لعشرات السنين إنه بأختصار التركتور مع تريلاتو

خطط جيدا باولو دولوليو لبيتزاتو ولزيارتو

ولكن كيف باولو أقنع بيتزاتو بأن يتبرع لديره بتراكتور مع تريلاتو لأن المبلغ في النهاية سيخرج من جيب بيتزاتو وليس من وزاراتو

لا تتعبوا فكركم فلن تخطر على بالكم خطة باولو

ففي اليوم الأخير لجولته طلب من بيتزاتو مبتغاهو وأنه شخصيا يحترمه بذاته لأنه من نفس الحزب الذي كان أبوه ينتمي إليه وهو حزب آكلي البيتزا الشعبي وليس حزب الديكتاتور موسوليني آكلي البيضة وتقشيراتو

وكان مرة قد حدثنا باولو عن ذكريات أبيه في هذا الحزب أنه كان مسجونا سياسيا ومحكوم بالأعدام هو ورفقاتو من قبل موسوليني وجماعتو

وفي اليوم التالي فجرا سينفذ بهم جميعا حكم الإعداماتو رميا بالرصاص حتى المماتو

فأحضروا لهم عشائهم الأخير الفاخر في ذلك المساؤو فقالوا جميعا نأكل أم لا نأكل طالما أننا سنموت غدا من فجراتو

ولكن قرروا في نهاياتو أن يأكلوا الليلة وغدا على الرسول السلامو وفي منتصف الليل من ليالي الحرب العالمية الثانية آنذاكو يأتي طيران الحلفاء ويقصف السجن

فينهد جدار زنزانتهم ويهربون جميعا كلا باتجاه خلاصو ويكون باولو هو ثمرة هذا الهروب مع أخواتو الذين عددهم ناهز ثمانياتو

كل الغزو الأستعماري للعالم يبدأ عن طريق مبشريه الذين هم دواسيسهو ومندسيهو وهذا هو تركتور بيتزاتو مع تريلاتو يصعدان ويهبطان في كل المنطقة يلحقان ببعضهما ابتداءا من حزيران صيف 1989 لهو الدليل القاطع على ذلك مع باولو الجالس وراء دركسيوناتو هذا هو رأي جماعة النظامو

الذكرى الثامنة

كانون الأول شتاء 1990

في شتاء عام 1990 كنا أنا و الأب باولو بدير مارموسى الحبشي وكان معنا في هذا الوكند من ليلتي الجمعة والخميس الله يرحموا أبونا فرانس الهولندي وأبونا زكمونت البولوني لأن باولو قد دعاهم ليقضوا هذين اليومين في الدير قادمين من ديرهم بحمص وهو قدمَ من ديره بحلب وأنا قدمتَ من دمشق عاصمة الأمويين والتقينا جميعا في النبك وأوصلتنا سيارة بالأجرة إلى أقرب نقطة للدير وعلينا أن نمشي الباقي على الرجلين لمسافة تقريبا من ¾ الساعة إلى الساعة لنصل لباب الدير وكنا قد اشترينا من النبك كل حاجاتنا من خبز وخضرة ومانحتاجه لطبختين

كان الصمت هو رفيقنا الخامس هذا ماعبر عنه فرانس ويمكن هو الوحيد الذي شعر فيه لأنه كنا لا نراه فلا يظهر إلا أثناء الأكل يقضي كل وقته متدثرا بكل مايوجد من بطانيات في ذلك الدير جالسا على كرسي صغير بجانب الهيكل داخل كنيسة الدير يقرأ في إنجيله الصغير كل الوقت

وكنا نسمع صوته فقط أثناء الأكل وهو يتمدح بسر هذا المكان الرهيب وان الله موجود فيه من خلال هذا الصمت الفظيع

كان الضباب الكثيف يلف المكان من كافة أطرافه والشمس غائمة مختفية مستحية من الظهور فمع حضور الله في صمته لم يعد لها أي سبب للتواجد هنيك

فسيدان لا يمكن أن يحكمان على نفس الكرسي

كان باولو دائم الصراخ لاتعرف ليش وكأن هذا المكان يكمل باولو وهو يكمله فالأثنان كل واحد وجد في الآخر ماينقصه فيه

أما زكومنت فقد كان هو الحل الوسط بين الأثنين يجمع نصفه من باولو والنصف الآخر من فرانس الهولندي

فتراه يساعد باولو أحيانا وأحيانا يغط في هذا الوادي العميق يتنزه فيه

أما أنا فقد كنت الشاهد على الأربعة حتى يأتي مثل هذا اليوم لأكتب لكم فيه ذكرياتي مع الأب باولو في دير مارموسى الحبشي

وفي ليلة الجمعة والبرد كان شديد بدأ الثلج بالتساقط على ذلك الوادي البعيد وكنا خمستنا في الغرفة التي فوق المطبخ حيث مدفأة الحطب تزغرد من إشتعال الحطب فيها فقد كانت مدكوكة منيح

وباولو كعادته لايستطيع الجلوس صامتاً لأكثر من ثانيتين فكان يتحركش بصديقه فرانس بين الحين والحين

وذاك يبتسم ولا يرد عليه ويتابع قرائته لأنجيله الصغير فيتابع الحديث مع صديقه الآخر البولوني وفي هذا الجو الدافيء المملوء بالأمان والحنين

سمعنا صوت صياح لشخص يستغيث من بعيد

فكان باولو أول المتيقظين وكأن الله قد أرسل له ما يعبيء الفراغ فيه فقام معتذرا أن عليه أن يهتم بالموضوع فهو صاحب المكان هنا ولا يجوز أن يترك الموضوع دون مغيث

وبدا الصوت يوضح شيئاً فشيئاً إنه أحد رعيان النبك كان قد فقد قطيعه من المعز في تلك الليلة العاصفة من كانون الأول لعام 1990

فقال لي باولو سأخرج أنا وأغلق باب الدير ورائي ولاتفتحه لأحد فقد يكون صادقا و لا نستطيع تركه خارجا في هذه الليلة المثلجة فقد يموت فيها من البرد الشديد

ودثر نفسه با الثياب المناسبة وحمل بيل الدير الضخم الكهربائي وخرج لمساعدته وبعد حوالي الساعتين عاد الأثنين وصوت حديثهما وضحكهما يجلجل من بعيد

بعد أن وضعا كل القطيع في المغارة المجاورة للدير مع الكلاب وحماره الفهيم

ودعاه باولو للعشاء والنوم في الدير فلم يتردد أبدا صاحبنا من هذا العرض ذو الخمسة نجوم مقابل النوم في المغارة مع رفقاءه من الحيوانات والتي أضاعها منذ قليل

طلب مني باولو فتح الباب لأستقبال الراعي ليتعشى ويتدفأ وينام معنا في الدير وبعد العشاء وبينما الراعي جالس بالقرب من المدفأة واضعا يديه فوقها على مسافة قريبة منها يقلبهما تارة لفوق وتارة لتحت بحسب شعوره بالبرد والدفء فيهما كل حين

سأل باولو السؤال التالي: هلق إذا الواحد بدو يصير مسيحي شو لازم يصير ؟

نظر فرانس وزكمونت وأنا إلى الأثنين مثلنا مثل الذي يتابع مباراة للبينبون بين أثنين

ونظر باولو إليه نظرة من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه كأنه يراه لأول مرة وقال له بلهجة أهالي النبك بصوت عالي: دُوفِيتْ (أي تدفأت جيدا) ؟

فجاوب الراعي بصوت عالي: مُنيح (نعم وبشكل جيد(

فسأله باولو بنفس نبرة الصوت : تُعشِيتْ (هل تعشيت جيداً)؟

فرد عليه بذات النبرة:مُنيح (نعم وبشكل جيد(

فصاح باولو: مُعزِكْ وحُمارِكْ نأموا (معزاياتك وحمارك ناموا)؟

فصاح هذا الأخير: مُنيح (نعم وبشكل جيد(

فقال له باولو : قُوم رُوح عُلى الْحمام وبُعدين رُوح نُام مُنيح مُنيح لأُنو بُكرا بُتروح الْنبك بُتقلون بُاولو دُفاني وعُشاني ونُيامني بُالدير وكُان بُدو يُساويني مُسيحي

الذكرى التاسعة

تشرين الأول خريف 1991

كانت سنة 1991 سنة فارقة في حياة باولو وفي تاريخ دير مارموسى الحبشي ففي هذا العام اتخذ باولو قراره النهائي بالعيش في هذا الدير بالتحديد ليس في أيام الصيف فقط ولا أيام الجمعة والخميس بل طيلة حياته وماتبقى له فيها من سنين ففي ذلك العام لم يغلق باب الدير كما في نهاية كل صيف

ضاربا بذلك بعرض الحائط تعليمات وقرارات رؤساءه اليسوعيين التابع لهم واضعاً إياهم في موقف الحيص بيص فهو لم يترك الرهبنة بل ترك دير اليسوعيين في حلب المعين فيه وبقي في ديرمارموسى ليعيش فيه

كان رفقائه الغربيين (ذوي الأصول الغربية) مؤيدين لمايفعله طالما هو مقتنع ومرتاح فيه ولا فرق إن كان سيقيم في حلب أو في النبك فهو لم يسيء للرهبنة أو لأي من الناس ولو على الصعيد الشخصي

وكانوا رفقاؤه الشرقيين (من الأصول العربية الشرقية) معارضين له لأنهم اعتبروا ماسيفعله هوخارج إيطار المكان والزمان الذي يعيش فيه

كانت هاتان المجموعتان تنتميان إلى قسم الرهبنة اليسوعية لأقليم الشرق الأوسط الذي يضم سوريا ولبنان والأردن ومصر والعراق وفلسطين وكان يرئسها الريس للأقليم ذو الأصل اللبناني الذي هو في النهاية صاحب القرار الأخير وكان قراره النهائي أن على باولو أن يطرد من الرهبنة لأنه خالف القوانين وذلك بعد دراسة الموضوع من كل جوانبه وبعد فوز أصوات الطرد له على أصوات الأحتفاظ فيه

هذا القرار الذي سيرفعه للرئيس العام للرهبنة اليسوعية والذي مقره في مدينة روما مدينة صاحبنا المنظور فيه ليوقع عليه بالموافقة لأن توقيعه هو شكلي هكذا كان يظن بطلنا الأقليمي

يبلغ عدد الرهبان اليسوعيين المنتشرين في العالم قرابة 36,000 راهب وهم يعُتبرون بمثابة العقل أو الفكر لكنيسة الكاثوليك فأقل واحد منهم أو الأمي فيهم معه دكتوراه واحدة فقط لا أثنين ورئيسهم يدعى البابا الأسود وذلك لتمييزه عن بابا الفاتيكان (البابا الأبيض) وفي تصريح لهذا البابا الأسود بعد انتخابه في ذلك الحين عن ماذا سيفعله فقال بالحرف الواحد: أنا مهمتي هنا من على هذا الكرسي أن أسهل في تحقيق كل ماهو موجود في رأس كل واحد من رهباني اليسوعيين كما هو يريد

ويبدو أن الأب باولو قد استند في فعلته هذه على تصريح أعلى سلطة عليه وهي التي ستتخذ القرار فيه أو دبر واسطة له فهو مثله من أصل إيطالي

كان دير مارموسى الحبشي تابع لطائفة السريان الكاثوليك وهو عبر تاريخه الكنسي مر هذا الدير بحسب رسومات الفريسك (الرسومات الجدارية) الموجودة فيه تابعا لمذهب المسيحيين اليعاقبة ثم للسريان أرثوذكس ثم للسريان كاثوليك

وكان باولو كان قد أخذ الأوكيه مسبقا من مطران وبطرك السريان كاثوليك بقبوله وتعيينه راهبا لهم في ديرهم مار موسى الحبشي قبل أن يترك ديره في حلب لليسوعيين ويأتي لديره الجديد لأنه في احتمال أن يُرفض من اليسوعيين

المهم بلا طول سيرة عليكم وكثرة المط والشط بالحديث جاء قرار البابا الأسود بعدم الموافقة على قرار رئيسه المباشر الأقليمي بطرد باولو من رهبنة اليسوعيين لا بل بالموافقة له على الإقامة في دير مارموسى الحبشي على طقس السريان كاثوليك

هنا ثارت ثائرة بطلنا الأقليمي أنو أنا ليش حاطيني هون إذا رأي ماليش مو عرفان حالوا أنو مو هو بل كل الكنيسة بالشرق التابعة للغرب مالها أي حل أو ربط في قرارها النهائي كنت لومون للغرب بها الشي طلع بيني وبينكون معون حق بكلشي بيعملوا عنا من هونيك

الذكرى العاشرة

تموز صيف 1995

في صيف عام 1995 كانت قد بدأت شهرة دير مارموسى الحبشي تنتشر في كل الوسط المحيط وتنتشر معها الإشاعات والأقاويل عن هذا الراهب الإيطالي الذي يعرف عن تاريخ الإسلام والقرآن الكريم أكثر ممايعرفه أغلب المسلمين والذي يجيد التحدث بالعربي و بلكنة أهالي المنطقة المتتدة من النبك إلى كل جبل القلمون ومافيه

وكان يوم الجمعة ابتدءأ من بداية الربيع وحتى نهاية الخريف هو اليوم الذي تكثر الزيارات فيه فمنه شمة هوا ومنه كسر للروتين ومنه حب للإطلاع عما يدور هناك في هذا الوادي العتيق فكان الجميع يقصد هذا المكان من أقاصي سوريا بشكل رحلات أو سيارين

ومن جملة من زار الدير في أحد أيام الجمع مجموعة من النباكنة وعلى رأسهم شيخ حضروا خصيصا للتعرف على الأب باولو ولتقديم واجب الأستقبال والترحاب فيه

وبدا الأب باولو سعيدا بهذه الخطوة من أحد شيوخ النبك مع جماعته بطرق باب ديره وللترحاب به في وسطهم الإسلامي وأحَسَ أن ثماره قد بدت تنضج في ماكان يعتبره حلماً له وهو كسر الجليد مابين الإسلام والمسيحيين وهاهو الآن على أرض الواقع كل شيء كما خطط له عم يصير

فاستقبل الأب باولو هذه الجماعة المقدر عددها بالعشرين بالتسهيل والترحيب وكان الوقت قد تجاوز بعد الظهر والشمس تميل للمغيب فدعاهم للجلوس على سطح الكنيسة حيث المكان في هذا الوقت من النهار هو أفضل مكان في كل الدير لإستقبال الأحبة فيه

كان الأب باولو يشرح لهذه الجماعة من المسلمين من على سطح ديره وجهة نظره بالدين الإسلامي قائلا لهم: يرتكز الدين المسيحي على ركائز ثلاث الركيزة الأولى وهي ولادة المسيح والذي هو عيسى ابن مريم عند المسلمين من عذراء وهذا موجود في القرآن الكريم والركيزة الثانية في المسيحية هي حادثة الصلب والموت على الصليب وهذا موجود أيضا في القرآن الكريم ولكن دون الأعتراف بموت المسيح والركيزة الثالثة هي القيامة والصعود للسماء وهذا موجود في القرآن الكريم في أنه رفع للسماء فالأسلام يعترف بهذه الركائز الثلاث عدا الموت على الصليب أن الإسلام والمسيحيين متفقين في كل شيء لا مختلفين فالدين المسيحي والدين الإسلامي يرتكزان على خالق واحد رحيم به كان كل شيء منذ البدء إلى الآن إلى دهر الداهرين

وقاموا الشباب الموجودين مع باولو في الدير بواجب الضيافة من تقديمهم للشاي والماء البارد وبعض البسكويت وبينما هم في جلستهم هذه طلب شيخهم من الأب باولو الأستذان منه بالخروج جميعهم من الدير لأنهم سيأدون صلاة العشي فقد حان وقتها بحسب التوقيت المحلي

فماكان من الأب باولو إلا أن قال لهم: هذا المكان هو بيت الله وهو مكان صلاة للجميع فلا داعي للخروج خارج الدير إلا إذا كنتم ستصلون لغير الله الذي هو للجميع

فضحكوا ورحبوا بالفكرة واعتبروها قمة في الأخلاق وفي التعامل مع المسلمين وأدوا صلاة العشي من على سطح الكنيسة وهم واقفين راكعين باتجاه جهة الجنوب مكان قبلتهم حيث إلى هناك تتجه صلوات كل المسلمين

كان هذا الحدث بالنسبة لمسيحيي النبك هذه المرة أجمعين هو بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير فثارت ثائرة مسيحيي النبك ولم يتوحدوا في يوم من الأيام عبر وجودهم التاريخي كماتوحدوا الآن في موقفهم ضد باولو فيما فعله على سطح كنيسة الدير من بعد ظهر تلك الجمعة لعام 1995

نعتوا مسيحيي النبك الأب باولو بأنه لايحترم خصوصيتهم ولا حرمة الدير وقالوا في حجتهم أنو بكرا بيصيروا كل مسلمي النبك من حقهم الصلاة في الدير وليش مايكون لهم يوم جمعة خاص بهم يجتمعون فيه بالدير ومو بعيدة أنو يطالبوا بمكان لهم خاص بالدير يعني بعد فترة لا حدا يستغرب أو يستبعد أنو يطير من أيدنا الدير متل ماطار كلشي ألنا بها المكان يلي ماصفيلنا فيه شيء إلا ها الدير وها الكام بيت المستورين فيه

وكانوا دائما يواجهون باولو بجملتهم المشهورة : يا أخي وقت هنن بيسمحولك تدخل عا الجامع تبعون دخول فقط وليس صلاة فيه وقتها نحن بدنا ندخلون على الدير ونخليون يصلوا فيه

وجد باولو نفسه في مشكلة ليست مع المسلمين بل مع أبناء دينه المسيحيين فمسيحيي هذا الشرق من خوفهم من ذوبانهم في محيطهم الإسلامي غلبت عليهم تصرفاتهم التي توارثوها عن أجدادهم وأصبحت بالنسبة إليهم عرفاً لا يمكن الأخذ والعطا فيه

ظن باولو أن الموضوع سيقف عند حدود الكلام وسينتهي بعد حين لأنه لم يرى في هذه القصة أكثر من جماعة تحب القال والقيل وهو قد قطع شوطا بعيدا في ترميم ديره وقد آن الأوان لينطلق به باتجاه المسلمين فقد اجتمعت كل الأشياء لديه وكل ماكان قد تعب فيه لأجل هذه اللحظة التي يراها أمامه وقد تحققت وتحقق حلمه الذي جاهد من أجله عشرات السنين

إنه حلمه في أن يعود الجميع إلى المصدر الصحيح فليس هناك فرقا بين مسلم ومسيحي فالأثنان يؤمنان بخالق واحد رحيم ولكن الأختلاف فقط في التفسير كل طرف قد فسر الأشياء انطلاقاً من البيئة والمحيط الذي عاش فيه.....يتبع

تتمة تموز صيف 1995

وجد الأب باولو في دير مارموسى الحبشي ضالته المنشودة في تحقيق هدفه النهائي ألا وهو أنه على مسيحيي الشرق أن رغبوا في أن يستمروا في هذا المحيط الإسلامي موجودين فيجب عليهم أن يبحروا فيه

مثلهم مثل بحارة سفن نتيجة خوفهم من الإبحار و الغرق وقفوا في وسط المحيط فهم عاجلا أم آجلا سيتلاشون بالتأكيد إما من نقص العدد أومن ضرب الأمواج فيهم أو من محاصرتهم بالجليد أو من قراصنة البحار الذين ينتظرون ضعف قبضة الحكم عليهم ليهجموا عليهم بالتأكيد

فرؤية الأب باولو كانت تتلخص أن على مقيمي السفن هذه أن لا خلاص لهم في هذا المحيط الإسلامي إلا بالأبحار فيه عبر مسيحيتهم لبعضهم وربانهم المسيح

لذلك هو تخصص بعد إنهاء دراسته للكهنوت بالحوار المسيحي الإسلامي ودرس اللغة العربية وجاء ليعيش وسط المسلمين في شرق النبك متخذا دير مارموسى له رمزا لكل المسيحيين

كان هذا الفكر الذي يحمله باولو ليس فقط غريبا عن مسيحيي الشرق ممثلا بالنباكنة المسيحيين بل كان غريبا أيضا عن كل رجال الكنيسة الشرقيين من بطاركتها إلى شمامستها مرورا بهم أجمعين منذ مئات السنين

فهؤلاء جميعا كانوا في سفنهم خائفين حذرين من أي إبحار بمحيطهم الأسلامي لأنهم ذاقوا المغراية عبر هذه السنين فالمسلم من وجهة نظرهم شخص لايؤتمن جانبه ومن الأفضل لهم الأبتعاد عنه قدر ماتستطيع ممازاد في إنغلاقهم على بعضهم البعض نتيجة هذه النظرة لهم التي لاتستند على أي نص إنجيلي

كان عام 1995 نقطة تحول في سفينة مارموسى الحبشي التي اكتمل بناؤها وأصبحت مستعدة للإبحار من جديد بقيادة ربانها هذه المرة باولو اليسوعي

أثارت هذه السفينة ببنائها وأقلاعها وأبحارها في هذا الوسط الإسلامي قلق كل المسيحيين السوريين فحاولوا إيقافها أو إغراقها إبتدءا من زملائه السوريين في رهبنته اليسوعية إلى رجال الكنيسة متمثلا بمطارنتها إلى مسيحيي النبك أجمعين.

ولكن السفينة وقفت في مكانها والذي أبحر لوحده إلى الأمام هو ربانها فغادرها وغادر معها سوريا في الجسد وأبحر لوحده ضد التيار الساقط نحو شلال الأنحدار ليبلغ المكان المرتفع في حضن أبيه الآب بجانب المسيح معلمه مكرسا كل حياته منتظرا هذا اللقاء المرتقب

النهاية

يرفان في 15-3-2015

في الذكرى الخامسة للثورة السورية

عبدالله نظليان